احتفالية يوم المخطوط العربي في دورته الخامسة

تحت شعار " التراث في زمن المخاطر"

٣ إبريل ٢٠١٧

كلمة

أ.د. عبد الله حمد محارب

المدير العام للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم

الأمانة العامة لجامعة الدول العربية

Scanned by CamScanner

معالي السيد أحمد أبو الغيط أمين عام جامعة الدول العربية

أصحاب السعادة/ السفراء والمستشارين الثقافيين

أصحاب الفضيلة/ العلماء الأجلاء

رجال الثقافة والإعلام والصحافة

السيداتُ والسادة

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وبعـــد

«التراث في زمن المخاطر» هو الشعار الذي ترفعه المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم وجهازها المتخصص معهد المخطوطات العربية هذا العام في يوم المخطوط العربي ٢٠١٧، وهو شعار يفرض علينا أن نبدأ هذه الكلمات بثلاث نقاط :

الأولى : إن الحرب على الإنسان لا تنفك أبدًا عن الحرب على تراثه، وإن القتل الذي يتوجه على الحياة الانسانية يتوجه بالدرجة نفسها من الحقد والضعف إلى عقله، وتحديدًا إلى ذاكرته الحضارية التي تتمثل في تراثه.

وتراثنا العربي – شأنه شأن صاحبه المكلوم – عانى ويعاني الكثير في العصر الحديث، بدءًا من الاحتلال الإسرائيلي عام ١٩٤٨ لفلسطين، ومرورًا بحربي الخليج الأولى والثانية في تسعينيات القرن الماضي، وليس انتهاء بما يحدث اليوم في عدد من بلداننا ولا ندري إلى أي مدى تتسع هذه المعاناة، ولا في أي صوب ستتجه. على أن القرن العشرين والنكبة ماكان سوى امتداد لمعاناة من نوع آخر في القرون

Scanned by CamScanner

الثلاثة أو الأربعة السابقة.

والثانية: إن التراث المخطوط هو أشد أنواع التراث هشاشة بحكم طبيعته الرقيقة، لكنه يملك - في الوقت نفسه - طاقة كامنة تملك قدرة عظيمة على البعث والتغيير، ولذلك كان لابد من الخوف منه الذي تجلَّى في الاعتداءات التي عرفناها في التاريخ ونشهدها اليوم، ومما يؤسف له أن الخوف منه كان ينبغي أن يقابل بالخوف عليه، وما يستلزمه ذلك من محافظة وحماية وتمسك، لكن هذا "الخوف على" ما زال فكرة لم تتحقق.

والثالثة : وهي نقطة بالغة الأهمية، ومفادها أن احتلال الجغرافيا (الأرض) يقترن بالضرورة باحتلال التاريخ (الذاكرة) وأن تدمير المكان يتلازم قطعًا مع تدمير الرصيد الحضاري لهذا المكان، ولذلك فإن لدينا مبدأ لايحتاج إلى الكثير من الفكر لفهمه هو : إذا أردت أن تسرق الإنسان وتاريخه وجغرافيته، فما عليك سوى أن تسرق تراثه. وبعبارة أخرى : إن سرقة التراث (الفكري تحديدًا) هي البوابة لسرقة التاريخ والجغرافيا والإنسان جميعًا.

وليس المراد بالسرقة معناها القريب المباشر، وإنما المراد إقامة سد بين التراث وصاحبه، مما يعني أن مفهوم السرقة مفهوم واسع يشمل : الإغراق (المغول في القرن السابع)، والإحراق (نيران الطائرات والمدافع) والتهجير (البيع والشراء والترحيل) في القرون الثلاثة أو الأربعة الأخيرة.

إن شعار هذا العام يأتي - إذن - استجابة لما تعانيه بلادنا العربية من صراعات تنعكس سلبًا على المخطوط العربي؛ هذا الكائن الحضاري الذي تعرض لتحديات كبيرة منذ الحملة الصليبية الأولى في نهايات القرن الخامس الهجري، ولا تزال، لكنها اليوم أكثر ضراوة وخطرًا، مما يستدعي منا البحث عن سبل انقاذ هذا التراث وحمايته لاسيما في المناطق الساخنة : سورية والعراق واليمن وليبيا، ولا ننسى بعض البلاد الإسلامية الإفريقية مثل مالي.

Scanned by CamScanner

وإن تراثنا العربي المخطوط الضخم كمًا وكيفًا وتنوعًا، والممتد في الزمان والمكان شرقًا وغربًا في كثير من مدن العالم وعواصمه ثروة كامنة ومعطاءة، تحمل قيمًا معرفية راقية، في صدارتها العمل والبناء والتشارك والانفتاح والليونة، ونحن اليوم في أشد الحاجة إلى هذه القيم، لبناء الذات العربية من جهة، ولمثاقفة الآخر من جهة أخرى.

اسمحوا لي أن أخرج من هذا الجو المتوتر لأدخل في الجو الإيجابي للمناسبة فأقول إن سعادتنا بالاحتفال بـ" يوم المخطوط العربي" للعام الخامس على التوالي تكتسي هذا العام طابعًا خاصًا بعد أن أقرَّ مجلس وزراء الثقافة العرب في دورتِهم العشرين التي انعقدت في رحاب (الألكسو) بتونس في ديسمبر الماضي، يوم الرابعَ مِن إبريل يومًا عربيًّا للمخطوطِ العربيِّ. ها نحن نفي بالعهد بأن يكون للمخطوط يومٌ سنويٌّ تحتفي به جميع الدول العربية، يومٌ يوافق التاريخ، الذي أنشئ فيه جهازنا المتخصِّص معهد المخطوطات العربية عام ستة وأربعين وتسعمائة وألف.

كما تكتسي احتفالية هذه السنة طابعًا خاصًّا أيضًا، يتمثل في رعاية الأمين العام لجامعة الدول العربية لـ فعاليات هذه الدورة الخامسة، واحتضان مقر الأمانة العامة لحفل الافتتاح.

أرجو ألا أكون قد أطلت عليكم، بيد أنه لابد من الإشارة إلى أن يوم المخطوط العربي قد أرسى تقليدًا بتكريم أبرز العلماء الذين خدموا المخطوط العربي، وفي هذا العام نحتفي بالدكتور **عادل سليمان جمال** (من مصر) أحد أبرز الذين عملوا في تحقيق التراث الشعري، وقد فاز بلقب «شخصية العام التراثية»، كما نحتفي بكتاب العام التراثي «بغية الطلب في تاريخ حلب» لابن العديم، ولهذا الكتاب دلالته من عدة جهات: جهة ارتباطه بحلب، التي نرى ما تتعرض له من

Scanned by CamScanner

تخريب وتدمير ومسح وإتلاف لكل ما فيها من مخطوطات وثروات تراثية حضارية، وجهة قيمة هذا الكتاب ذاته في تاريخنا الحضاري الثقافي، وجهة الجهد الذي بذله محققه الدكتور المهدي الرواضية (من الأردن).

كما يكرم المعهد المراكز العلمية المتخصصة وقد فاز هذا العام مركز جمعة الماجد (من الإمارات العربية المتحدة) على جهوده في خدمة التراث العربي، وجمعه، وحفظه، وإتاحته، ونشره.

أختتم كلمتي بالإعراب عن شكري للأمانة العامة ممثلة بمعالي الأمين العام، على احتضانها ورعايتها لتظاهرة هذا العام، كما أثني على معهد المخطوطات العربية كفاء الجهد الذي بذله في الإعداد لها، في سبيل الخروج بالمخطوط العربي من حدود النخب إلى آفاق أرحب تُدخِلُه نسيج ثقافتنا المعاصرة.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

* * *

Scanned by CamScanner